

text YOUNASSE TARBOUNI

# THE EVOLUTION of ARABIC

## أهمية الوفاء للمهمة الأكاديمية و تطور اللغة العربية

### STAYING FAITHFUL TO THE MISSION OF ACADEMIA

EARLY in the seventh century, Aramaic was superseded by Arabic, which gained widespread prestige and legitimacy as the official language of Islam. The expansion of the Islamic empire spread the language as far as Central Asia and the Iberian Peninsula, today's Spain, known then as Al-Andalus or Andalusia.

Today Arabic is the world's number one Semitic language, with more than 300 million speakers.<sup>1</sup> It is the official language of at least 22 countries: Morocco, Algeria, Tunisia, Libya, Egypt, Mauritania, Sudan, Somalia and Djibouti in North Africa; Saudi Arabia, Yemen, Kuwait, Bahrain, Qatar, the United Arab Emirates, Oman, Syria, Lebanon, Jordan, Iraq, and Israel and Palestine in the Middle East; and Comoros in the Indian Ocean.

### Ancient Arabic poetry is the archive of Arab people

To trace the history of the Arabic language, poetry is perhaps the best quantifier of how the Arabic language has evolved. The pre-Islamic period is best documented by its Arabic poetry, known as Shi'r Al-Jahilia.<sup>2</sup> It stands today as a compilation of the best Arabic poetry ever composed, as represented by the seven Mu'allaqat, or "hanging poems". It is believed that they were displayed in the Kaaba in Mecca as the ultimate in verse composition.

The eloquence and elaborate poetic and artistic styles set the standard for classical Arabic in both grammar and vocabulary. The works also demonstrate the exquisite skill of the poet and his ability to portray the most abstract concepts in a multiplicity of ways that seem easy yet impossible to imitate. These poems elevated their poets<sup>3</sup> to the status of great masters and the best at their craft, still unrivalled today.

تراجعت اللغة الأرامية في أوائل القرن السابع الميلادي وحلت محلها اللغة العربية التي اكتسبت سمعة وشرعية واسعة النطاق بوصفها اللغة الرسمية للإسلام؛ وهكذا انتشرت وتوسعت الإمبراطورية الإسلامية واللغة العربية في آسيا الوسطى وشبه الجزيرة الأيبيرية المعروفة آنذاك بالأندلس أو إسبانيا اليوم. اللغة العربية هي اللغة السامية الأولى في العالم اليوم؛ إذ يتكلم بها أكثر من 300 مليون نسمة<sup>1</sup> وهي اللغة الرسمية لما لا يقل عن 22 بلداً هي: المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وموريتانيا والسودان والصومال وجيبوتي في شمال أفريقيا، والمملكة العربية السعودية واليمن والكويت والبحرين وقطر والإمارات وعمان وسوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين، و إسرائيل (كلغة رسمية ثانية) في الشرق الأوسط؛ وجزر القمر في المحيط الهندي.

### الشعر العربي القديم أرشيف الشعوب العربية

إذا تتبعنا تاريخ اللغة العربية من خلال الشعر القديم فربما نجد فيه، أكثر من الأجناس الأدبية الأخرى، أفضل توثيق يعكس هذا التطور اللغوي، وخير دليل على هذا الغنى اللغوي هو ما أنتج من أشعار في فترة ما قبل الإسلام المعروفة أيضاً بالعصر الجاهلي أو شعر الجاهلية<sup>2</sup>. إن المعلقة السبع لاتزال اليوم أفضل ما قرص في الشعر العربي، وهذه القصائد تتألف من سبع قصائد اختيرت من بين العديد من القصائد الرفيعة آنذاك، ويعتقد أنها علفت على أستار الكعبة في مكة اعترافاً بها وتكريماً. ليس من الغريب أننا مازلنا نجد في الشعر الجاهلي، والمعلقات خاصة، تلك البلاغة والفصاحة المتمثلتين في صياغة الأنماط الشعرية والفنية للغة العربية الفصحى من حيث دقة قواعدها ومفرداتها إضافة إلى الأساليب الفنية المتقنة التي أسست المعايير في قواعد اللغة.

فهذه القصائد شاهد يعرض المهارة الرائعة للشاعر وقدرته على تصوير أكثر المفاهيم المجردة في عدد وفير من الأساليب التي تبدو سهلة لكن من المستحيل تقليدها كما أننا لا نجد لها مثيلاً حتى اليوم. ومن الجدير بالذكر أن هذه القصائد رفعت من شأن شعرائها<sup>3</sup> و نصبتهم أمراء وزعماء في هذا الفن الأدبي.

<sup>1</sup> The total population of the member countries of the Arab League exceeds 355 million.

<sup>2</sup> Shi'r Al-Jahilia in English: Poetry of the Period of Ignorance, i.e., before the coming of Islam.

<sup>3</sup> These Seven Poets are Imr'u A'iqays; Tarafa Ibn Al-Abd; Zuhayr Ibn Abi Salma; Labid Ibn Rabi'a; Antara Ibn shaddad; Amr Ibn Kulthoum; and Al-Harith Ibn Halizah

<sup>1</sup> مجموع السكان في البلدان الأعضاء في جامعة الدول العربية يتجاوز 355000000.

<sup>2</sup> شعر الجاهلية أو فترة ما قبل الإسلام.

<sup>3</sup> هؤلاء الشعراء هم امرؤ القيس؛ طرفة بن العبد؛ زهير بن أبي سلمى؛ لبيد بن ربيعة؛ عنتر بن شداد؛ عمرو بن كلثوم؛ أبو الحارث بن حلزة

### لغة قريش والإسلام

اللغة العربية كلغة تدين بالكثير ، من حيث منزلتها اليوم ، لدين الإسلام؛ فقد أدى تطور القبائل العربية في ظل الإسلام إلى تغييرات اجتماعية رئيسية بما في ذلك اللغات<sup>4</sup>المستعملة آنذاك، ويفسر محمد الغوث في كتابه "لغة قريش" ، استخدام كلمة "لغة" قريش بدلاً من "لهجة" قريش في سرده لهذه المرحلة التاريخية و مكانة قريش والقبائل المنافسة لها؛ ففي ذلك الوقت كان لكل من هذه القبائل العربية "لغة" ذات مميزات خاصة، وكانت قريش، إضافة إلى لغتها، واحدة من القبائل القوية في مكة المكرمة كمركز تجاري رئيسي، كما أن نزول الوحي على النبي محمد بن عبد الله القرشي(570-632)، أعطى شرعية أكثر للغة قريش.

تغيرت اللغة العربية من حيث الشكل والبنية، وفي أوائل الفترة الإسلامية كان التركيز على أسلوب أقل تعقيداً، وموضوعات غير مثيرة للجدل؛ فيتبسيط المشهد اللغوي في شبه الجزيرة العربية عكس أيضاً ما جلبه الإسلام من تغيير في أسلوب حياة الناس في المنطقة وكان هناك تحول واضح من حياة التنقل القبلية الصعبة إلى طريقة أبسط وأكثر استقراراً في حياة أشبه ما تكون بالحياة المدنية.

بدأ الناس في الاستقرار بطريق أكثر تنظيمياً تعتمد فيه الحياة على الدين الواحد الذي أرسى مبادئ إسلامية جديدة، وكان هذا الدين أكثر اهتماماً بتحديد الأخلاق الاجتماعية والسلام والملكية والميراث والمساواة الاجتماعية؛ فقبل الإسلام لم تكن هذه المفاهيم مقننة أو محط عناية واهتمام.

أصبحت مكة مركزاً تجارياً وموقِعاً دينياً فكان أن أعطى مكانة كبيرة للقادة القرشيين الذين وجدوا أنفسهم على قمة الهرم الاجتماعي والديني، وأدى هذا إلى وجود شرعية للتحالفات الكبرى مع زعماء القبائل القوية الأخرى التي اعتنقت الإسلام ولم تصبح خطراً على قريش.

تحت إشراف القرشيين أصبح الناس يأتون من جميع أنحاء مكة المكرمة لعبادة إله واحد - الله- وليس ثلاثة آلهة<sup>5</sup> كما كان الحال من قبل. كانت هذه نقطة تحول كبرى أدت إلى الانتقال من الشرك إلى التوحيد من جهة، وتوحيد صفوف القبائل المسلمة الصغيرة تحت راية الإسلام من جهة أخرى. وأهم من هذا أنها جلبت أيضاً توافقاً لغوياً ساعد على تهيئة الوضع اللغوي وإلى حد ما حل مسألة التعددية اللغوية، ورفع رسمياً لغة قريش إلى مرتبة المعيار الواجب اتباعه.

بعد وفاة النبي محمد عام 632، جُمع القرآن في كتاب واحد، الكتاب المقدس، ويعتقد عموماً أن الخليفة الثاني عمر(634-44) بدأ عملية الجمع، ولكن الخليفة الثالث عثمان (644-56) كان من أمر وأتم عملية جمع القرآن<sup>6</sup>. أمر عثمان بإرسال نسخ من المصحف إلى الأقاليم الإسلامية المحورية، وأمر بإحراق جميع النسخ الأخرى. فالقرآن الكريم ، في شكله النهائي والكامل وضع المعايير المكتوبة للغة العربية وأهم من ذلك أنه أعطى اللغويين وعلماء الدين مرجعاً أصلياً أسس لدراساتهم .

مع انتشار الإسلام تطورت اللغة العربية تطوراً كبيراً على مستوى الكتابة والنطق؛ فخلال الفتوحات الإسلامية (632-732) قَبِل كل من اعتنق الإسلام العربية باعتبارها لغة الإسلام في شكلها المكتوب ، كما كان الحال في إيران ، وفي أماكن أخرى ، وتم احتضان اللغة كتابة ونطقاً كما هو الحال في منطقة شمال أفريقيا. وتجدر الإشارة إلى أن وجود المسمين في الأندلس( من 711 حتى 1492) قد تميز بالتطور اللغوي والتنمية والازدهار الثقافي واللغوي والفكري في مختلف مجالات العلوم والفلسفة والأدب و الطب والدين واللغويات.

منذ بداية الدولة الأموية في الأندلس في 711<sup>7</sup> تم التركيز على نشر الدين وتعليم اللغة العربية كعاملين رئيسيين للحفاظ على السلطة ولتعزيز علاقات التسامح بين المسيحيين والمسلمين واليهود معاً<sup>8</sup>. وكان الهدف من وراء هذه السياسة أيضاً التنافس بين الدولة الأموية في الأندلس والعباسيين في بغداد -العراق ، التي كانت واحدة من عواصم المعرفة في ذلك الوقت، وأدت هذه المحاولات في نهاية المطاف إلى الرفع من دور اللغة العربية وشأنها في الشرق الأوسط والأندلس ، وهذا مما أدى إلى ظهور أعمال وإنتاجات أدبية وعلمية عظيمة يعتقد الكثير أنها أرسيت أسس النهضة العلمية الأوروبية بعد سقوط الإمبراطورية الإسلامية في الأندلس في عام 1492.



Cetty Images/Callo Images

▲ Seljuk zodiac coin minted at ancient city of Siwas, Seljuk Sultanate of Rum, Turkey.

◄ Touareg in abandoned dawada village, Gabraoun.

▼ Arabic manuscript, 16th century, Abu Gaafar al-Ghafiki, Fawayd el-Aashab (The Benefits of Herbs), 1582.



Cetty Images/DeAgostini

### The language of Quraish and Islam

Arabic as a language owes much of its status today to the religion of Islam. The evolution of the Arabs as a people under Islam led to major social changes including the languages<sup>4</sup> they used to interact. In his book *Lughat Quraish*, Mohamed Al-Ghouth explains why he uses the word “language” instead of dialect in his history of the Quraish and its rival tribes.

At that time, the tribes each had a peculiar Arabic “language” with distinctive features. The Quraish was one of the most dominant tribes in Mecca, a major trading centre, and the revelation to the Prophet Ibn Abdullah (570–632), a Quraishi himself, lent more legitimacy to the language of the Quraish.

The Arabic language changed both in form and structure. In the early Islamic period, the emphasis was on a less complex style and uncontroversial topics. By simplifying the linguistic scene on the Arabian Peninsula, Islam also brought change to the lifestyle of the people in the region. There was a clear shift from the hard, tribal, nomadic life to a simpler, more stable way of life in cities.

With the adoption of new Islamic principles, people began to settle into a more organised way of life that revolved around a single religion – a religion that was more concerned with defining social morality, peace, ownership and inheritance, and social equality. Before Islam, these were not concepts that had been afforded much attention.

Mecca became not only a trading centre but also a religious site, which was a great boon to the Quraishi leaders. They found themselves at the top of the social and religious pyramid. This legitimacy led to major alliances with other tribal leaders who embraced Islam. Under Quaraishi supervision, people gathered around Mecca to worship, not the three goddesses<sup>5</sup>, but one God – Allah. This major turning point, from polytheism to monotheism, unified the tribes. It also brought linguistic consensus to this historically pluralistic linguistic scene, officially elevating the language of the Quraish as the standard to follow.

After the death of Prophet Muhammad in 632, the Qur’an was assembled into one book, the Holy Book. It is generally believed that the second Caliph, Omar (634–44), started the collection process, but it was Uthman (644–56), the third Caliph, who ordered and finished the collection process of the Qur’an.<sup>6</sup> Copies of this complete collection were sent to the Islamic territories, and all the other existing versions were burned. The Qur’an, in its final and



(c) Niko Tondini

complete form, set the written standards of the Arabic language, keeping grammarians, linguists and religious scholars busy ever since. More importantly, the process settled the issue of the originality of the Qur’an.

With the spread of Islam, the Arabic language evolved tremendously in both written and spoken forms. During the Islamic conquests (632–732), converts accepted Arabic as the language of Islam in its written form only, as in the case of Iran; in other places, both written and spoken forms were adopted, as in the case of the North African region. The eight centuries of Muslim presence in Al-Andalus (Andalusia) (711 until 1492) was also characterised by linguistic development and intellectual prosperity in various fields of science, philosophy, medicine literature, religion and linguistics.

Since the beginning of the Umayyad dynasty in Al-Andalus in 711,<sup>7</sup> promoting tolerance and learning by spreading the Arabic language was key to keep Christians, Muslims and Jewish populations together<sup>8</sup>. This was also part of a rivalry between the Umayyad in Al-Andalus and the Abbasids in Baghdad (present-day Iraq), which was one of the capitals of knowledge at the time. It ultimately elevated the role of Arabic in both the Middle East and Al-Andalus, leading to major works that many believe laid the foundations of the European scientific renaissance after the fall of the Islamic empire in Al-Andalus in 1492.

Perhaps the invention of paper in the middle of the ninth century was the missing element in the worldwide

<sup>4</sup> Mokhtaar Al-Ghout, *Lughat Quraish*, Dar Al-Mi'yaaj, 1997.

<sup>5</sup> The three major goddesses worshipped in Mecca before Islam were Al-lat, Manнат and Al-Uzza

<sup>6</sup> He was nicknamed Al-Jamr, Arabic for “the collector”. He ordered the collection of the Qur’an in its entirety as we have it today.

<sup>7</sup> The first invasion in 711 led by the Amazigh leader- Tariq Ibn Zayad- after whom the rock of Gibraltar is named.

<sup>8</sup> Hourani, A (1993), *History of the Arab People*, p. 42

<sup>9</sup> Irwin, J (2002), *Averroes’ Reason: A Medieval Tale of Christianity and Islam, The Philosopher LXXXIX(2)*.

<sup>4</sup> مختار الغوث، لغة قريش ، دار المعراج ، 1997

<sup>5</sup> الآلهة الثلاثة الرئيسية التي كانت تعبد في مكة قبل الإسلام هي اللات وصماء والعزى.

<sup>6</sup> القرو الأول في 711 بقيادة الزعيم الأمازيغي طارق بن زياد. انظر "صخرة جبل طارق"

<sup>7</sup> حوراني (1993). تاريخ العرب ، ص 42



*Le Destin* (1997) by the great Egyptian filmmaker Yousef Shaheen and Abdou fi 'Ahdhi Al mawahiddine (2006)<sup>10</sup> by another great Moroccan filmmaker/actor, Said Nasiri.

History has also benefitted from the reports of Said Al-Andalusi on Caliph Abd-Arahman III and his passion for collecting books, which later inspired Caliph Al-Mustansir to build on what became a great centre of medicine and philosophical debate: the great university of Cordoba. Another philosopher who made his mark is Ibn Tufail (1105–1185), with his philosophical novel, *Hay Ibn Yaqdhan*. Like Averroes, he was another great Andalusian Muslim Arabic novelist, theologian and court official.

The end of the 15th century was a turning point in the history of Arabic and the Arabs on the Iberian Peninsula. The fall of Granada in 1492 marked not only the end of Islam in Spain, but also the beginning of a stagnation period for the Arabic language and the retreat of the Arabs out of Andalusia. Meanwhile, however, east of Andalusia, in the year 1453, the Ottoman Empire had defeated the last reigning Byzantine Emperor, Constantine XI, and claimed the Byzantine capital, Constantinople, today's Istanbul, as the capital of Islam. This kept the religion of Islam strong in the Balkans, the Middle East and North Africa.

According to Hourani (1991), the Arabic language was reinforced under Ottoman rule. His reasoning was that instruction of the sciences of law and religion was in Arabic and it was equally as strong as the teachings in Cairo or Damascus. Poetry and secular works, however, were written in Ottoman Turkish, considered then as a language of high culture.<sup>11</sup> Despite sharing the same religion, Islam, there was a heated ethnic tension between the Arabs and the Ottoman Turks. The leading Arabs of Cairo, mainly the graduates of Al-Azhar mosque<sup>12</sup>, resented receiving orders from graduates of the imperial foundations in Istanbul. Graduates of Damascus and Aleppo (Syria) schools also had the same attitude towards the Ottoman leaders. This tension, contrary to Hourani's view, rather slowed down the evolution of the language.

All in all, despite the ethnic tensions, Arabic under the Ottomans was still visible and important in politics and administration. It was, after all, the language of Islam, which the Ottomans defended. Yet the Arabs thought they were linguistically superior to the Ottoman Turks, who were never liked in Egypt, Syria and the other Arab territories. These feelings, as Suleiman (2003) reports, were expressed in poetry as veiled complaints criticising the Turks for the neglect of Arabic in education.<sup>13</sup>

spread of knowledge. It allowed the Arabs in Al-Andalus to document their findings in a whole range of subjects. Most of their works were later translated from Arabic into Latin. At the top of the list, one has to mention the great Averroes, Ibn Rushd (1126–1198), founder of the Averroesism school of philosophy.

His extensive works covered a variety of different subjects, mainly Islamic philosophy in early Islam, logic, Islamic theology, and *fiqh*, or Islamic jurisprudence. He developed the concept of "existence preceding essence",<sup>9</sup> and he wrote extensively on Arabic grammar as well. His life is nicely documented in two successful movies:



Getty Images/ArabianEye



Getty Images (c) Remi Benali



Getty Images (c) Hisham Ibrahim

وربما كان اختراع الورق في منتصف القرن التاسع العنصر الرئيسي في انتشار المعرفة في جميع أنحاء العالم؛ فقد ساعد هذا الاختراع العرب في الأندلس إلى حد كبير في توثيق النتائج التي توصلوا إليها في أبحاثهم في العديد من الموضوعات، وترجمت معظم أعمالهم من العربية إلى اللاتينية في وقت لاحق.

ويتعين على المرء أن يذكر على رأس القائمة أعمال الفيلسوف العظيم ابن رشد (1126-1198) في ميادين عدة كالفلسفة والفلك والرياضيات وعلم الكلام؛ فقد غطت أعماله مجموعة واسعة متنوعة من الموضوعات المختلفة في الفلسفة الإسلامية أساساً في الحقبة المبكرة للإسلام والمنطق وعلم الفقه والتشريع الإسلامي... وقد طُوّر مفهوم "سبق الوجود للجوهر"<sup>9</sup> وتوسع في كتاباته في قواعد اللغة العربية كذلك. وتجدر الإشارة إلى فلمين ناجحين يوثقان بشكل جيد حياة ابن رشد الإنسان والقاضي والفيلسوف... الأول "المصير" (1997) للمخرج المصري الكبير يوسف شاهين والثاني "عبده في عهد الموحدين" (2006)<sup>10</sup> للمخرج والممثل المغربي سعيد الناصري.

وقد استفاد التاريخ أيضاً من تقارير السعيد الأندلسي حول الخليفة عبد الرحمان الثالث وعن شغفه بجمع الكتب الشيء الذي ألهم الخليفة المستنصر في وقت لاحق بناء مركز كبير للطب والنقاش الفلسفي، هذا المركز الذي أصبح فيما بعد جامعة قرطبة العظيمة، ونذكر أيضاً الفيلسوف ابن طفيل (1105-1185) الذي ترك بصماته الأدبية في الأندلس بفضل روايته الفلسفية "حي بن يقظان"، وكان ابن طفيل كابن رشد روائياً عربياً مسلماً أندلسياً عظيماً مسؤولاً في المحكمة وعالمًا في الدين.

كانت نهاية القرن الخامس عشر نقطة تحول في تاريخ اللغة العربية والعرب في شبه الجزيرة الأيبيرية؛ إذ شكل سقوط غرناطة في 1492 نهاية الإسلام في اسبانيا، وبداية فترة ركود وتراجع للغة العربية وخروج العرب من الأندلس، ولكن في هذه الأثناء وفي عام 1453 تحديداً في شرق الأندلس، هزمت الإمبراطورية العثمانية الإمبراطور البيزنطي، قسطنطين الحادي عشر، واتخذت العاصمة البيزنطية القسطنطينية أو كوستانتنبل، إسطنبول اليوم، عاصمة الإسلام، وهذا ما أبقى دين الإسلام قوياً في منطقة البلقان والشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

حسب ألبرت حوراني (1991)، تم تعزيز اللغة العربية تحت الحكم العثماني، ومنطقه في ذلك أن التعليم تحت سيطرة العثمانيين في ميادين العلوم والقانون والدين كان باللغة العربية، وكان هذا التعليم يضاهي قوة التعليم في القاهرة أو دمشق، أما الشعر والأمور العلمانية فقد كانت تكتب بالتركية العثمانية التي كانت تعتبر لغة الثقافة الرفيعة<sup>11</sup>. وعلى الرغم من أن دين الإسلام كان القاسم المشترك بينهم فقد كان هناك تأثير عرقي ساخن بين العرب والأتراك العثمانيين، واتضح هذا في استياء الرواد العرب في القاهرة، خاصة خريجي جامع الأزهر<sup>12</sup>، من تلقي الأوامر من خريجين من مؤسسات الإمبراطورية في إسطنبول. خريجوا مدارس دمشق وحلب (سوريا) أيضاً كان عندهم نفس الموقف تجاه القادة العثمانيين. هذا، خلافاً لما جاء به حوراني، أدى بالأحرى إلى الحد من تطور اللغة.

على الرغم من كل هذه التوترات العرقية؛ فاللغة العربية في العهد العثماني كانت تحظى بحضور واستعمال ملموسين في أمور السياسة والإدارة. فقد كانت فوق كل اعتبار لغة الإسلام الذي كان يدافع عنه العثمانيون. رغم ذلك فالعرب اعتقدوا بأنهم كانوا أسماً لغويًا من الأتراك العثمانيين، الذين ما كانوا محبوبين في مصر، سوريا والأراضي العربية الأخرى. هذا الشعور، كما يلاحظ سليمان (2003)، أبدى في قصائد شعرية كشكاوى مقنعة تنتقد إهمال الأتراك اللغة العربية في التعليم<sup>13</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن أفضل المساهمات في العربية في ذلك الوقت جاءت من مفكرين مسلمين غير عرب<sup>14</sup>، وأنه كان للهيمنة التركية والفارسية في الأدب وقع كبير و دور فعال في استمرار اللغة العربية؛ فالعربية استعارت من كلتا اللغتين- الكثير من الكلمات التي ما زالت مستعملة اليوم في النطق والكتابة وأدكت هذه الكلمات والمفاهيم الجديدة حياة جديدة في اللغة.

هياً العهد العثماني اللغة العربية لمرحلة نمو لغوي سنائي فيما بعد؛ فقد كانت اللغة العربية في مرحلة تغيير أدى إلى حد كبير إلى استياء الأصوليين والكلاسيكيين، و جنوب الأندلس، في المغرب- البلاد الوحيدة التي لم تحتلها الإمبراطورية العثمانية - رحب السكان الأصليون الأمازيغ<sup>15</sup> بالإسلام واللغة العربية، وكان

Irwin, J (2002), *Averroes' Reason: A Medieval Tale of Christianity and Islam, The Philosopher* LXXXX(2),<sup>9</sup>

<sup>10</sup> يتناول هذه الإردواجية في اللغة العربية، ويقابل القرن 12 بالقرن 21 (العامة و العربية الفصحى).

<sup>11</sup> حوراني (1991). تاريخ العرب، ص 239.

<sup>12</sup> المعروف أيضاً باسم جامعة الأزهر (972) -- ثاني أقدم مؤسسة في تدريس الشريعة الإسلامية والأولى هي الغرويين (859) في فاس، المغرب

<sup>13</sup> سليمان، ي. (2003). اللغة العربية والهوية الوطنية، ص 110

<sup>14</sup> أفضل مثال على ذلك هو سوسيو، وهو من أصل فارسي كتب أول كتاب شرح فيه قواعد اللغة العربية، تحت عنوان الكتاب.

<sup>15</sup> الأمازيغية: المصطلح المناسب لكلمة "البربرية". غالبية الأمازيغ اليوم في المغرب، والجزائر، ودرجة أقل في تونس وليبيا

<sup>10</sup> This film brilliantly tackles the duality of the Arabic language, 12th century versus 21st century (classical versus colloquial Arabic).

<sup>11</sup> Hourani, A (1991). *History of the Arab People*, p. 239.

<sup>12</sup> Also known as the University of Al-Azhar (972) – the second oldest institution in the teaching of Islamic law, the first being Al-Karaouine (859) in Fez, Morocco.

<sup>13</sup> Suleiman, Y. (2003). *The Arabic Language and National Identity*, p. 110.

<sup>14</sup> The best example is Sibawayh, a linguist of Persian origin who wrote the first book explaining Arabic grammar, titled *Al-Kitaab*.



## Arabic evolution and issues of political regionalism

The last decade has been characterised by political and cultural turmoil vis-à-vis the Arab world. Interest in the Middle East has intensified and there has been a growing demand for instant answers to complex cultural and religious questions. The Arabic language and *aamiyat* – the dialects – have come to be at the heart of this quest, as the debate over the legitimacy of certain dialects over others has intensified and taken a path fuelled by non-linguistic factors.

As a result, the issue of *Standard Arabic* versus its varieties continues to be politicised. The discussion is not within a linguistic framework, but rather based on religious affiliations, on political direction or on the economic supremacy of, or interest in, certain regions. One has to be careful when using superlatives such as “best”, “first” and “most” in discussions about varieties of Arabic.

Sweeping statements such as “Yemeni Arabic and Algerian Darija are mutually incomprehensible” or “Egyptian Arabic is the most understood variety of Arabic” or “Moroccan Darija is closer to French than Arabic” are not only misleading, for lack of a better term, but non-linguistically governed and divisive. Varieties should be embraced and looked at as signs of evolution of, and within, the language that is Arabic.

The evolution of the Arabic language and its varieties is admittedly a challenge to both educators and learners – natives and non-natives alike. For learners, both spoken and written forms have to be studied intermittently to attain fluency. Taking into account that Standard Arabic is the umbrella under which all varieties operate, all the varieties should be understood if one has a good grasp of the rules of the standard.

There is an Arabic saying that goes: “He who doesn’t have something, can’t give it”. Taking this at face value, it is totally understandable for a Kuwaiti who has never heard Egyptian Arabic to say he can’t understand it. But his exposure to the variety through songs, films and plays would almost guarantee familiarity with it, leading to a decent level of oral-aural comprehension. This is a case of “familiarity leads to learning”, and a key element in this process is the willingness to accept the other.

It is no secret that, for various reasons, this willingness is less prevalent in the eastern than in the western part of the Arab world. In the Maghreb region, one can speak of a strong cross-cultural consciousness and a cultural

It must be noted that the best contributions in Arabic at the time came from non-Arab Muslim thinkers,<sup>14</sup> and the dominance of Turkish and Persian in literature was likely instrumental in the continuity of the Arabic language. Arabic borrowed many words from both languages that are still used today in both spoken and written forms. These new words and concepts infused a new life into the language.

The Ottoman era prepared the Arabic language for a phase of linguistic growth yet to come. Much to the dismay of the purists and classicists, the Arabic language was now in a phase of change. South of Andalusia, Morocco – the only country not conquered by the Ottoman Empire – the natives (known as the Amazigh<sup>15</sup>) welcomed Islam and the Arabic language. Like the Turks, the Amazigh people had their own language, Tamazight, which influenced Arabic to some degree.<sup>16</sup> The Arabs and Amazigh people coexisted religiously and linguistically. Once again, there was ethnic tension, but this was not as important a variable in this period; it would later be ignited by the Europeans when they moved into the Maghreb at the turn of the 20th century.

In the middle Ages, Arabic lent many words to other European languages. In the 19th century and at the turn of the 20th century – the height of the European colonial period – Arabic, in turn, was greatly influenced by the languages of the colonial powers. This historical linguistic exchange – incidental and, at times, forced – gave Arabic modern forms clearly distinct from classical Arabic. With these changes, the Arab world was still unified by the Arabic language, but after the colonial period, it had become more linguistically complex than ever before – especially as reflected in the spoken varieties, which have evolved considerably.

The varieties of spoken Arabic remain in a constant state of evolution.<sup>17</sup> They include many modern terms from other languages and they are usually regionally defined. In the Arab world, they fall, generally, under four main areas. The first is Maghrebi Arabic, or Darija, spoken in Morocco, Algeria, Tunisia and Libya. It influenced and borrowed from Tamazight, French and Spanish. The second is Egyptian Arabic, or Masriya, spoken in Egypt and northern Sudan. The third is Levantine Arabic, spoken in Iraq, Syria, Lebanon, Israel and Palestine, and Turkey. And the fourth is Khaliji Arabic, spoken in countries of the Persian Gulf: mainly Saudi Arabia, Yemen, the United Arab Emirates, Oman, Qatar, Bahrain and Kuwait.



Gatty Images/National Geographic Creative



Gatty Images (c) Wayne Eastep

▲ Saudi Arabia, boy with adult in traditional Bedouin costume

▲▲ A Bedouin father plays with his daughters.

للأمازيغ، مثل الأتراك، لغتهم الخاصة، الأمازيغية، التي أثرت في اللغة العربية إلى حد ما<sup>16</sup>. وتعايش العرب والأمازيغ دينياً ولغوياً، ومرة أخرى، كان هناك توتر عرقي ولم يعرف هذا جدّة في هذه الفترة؛ لكن الأوروبين أشعلوا نار هذا التوتر العرقي لاحقاً خلال توسعهم الاستعماري في إفريقيا مطلع القرن العشرين.

خلال العصور الوسطى، استعارت اللغات الأوروبية العديد من الكلمات العربية، وفي القرن التاسع عشر ومنعطف القرن العشرين - أوج الفترة الاستعمارية الأوروبية- تأثرت العربية بالكثير من لغات الدول الاستعمارية. هذا التبادل اللغوي التاريخي، العرضي أحياناً والمفروض أحياناً أخرى، أعطى للعربية أشكالاً حديثة و متميّزة جداً عن اللغة العربية الكلاسيكية. رغم هذه التغييرات، ظلّ العالم العربي موحداً بفضل اللغة العربية، ولكن بعد فترة الاستعمار أصبح الجانب اللغوي أكثر تعقيداً من أي وقت مضى، وانعكس هذا في اختلاف اللهجات التي تطوّرت إلى حدّ كبير.

لا تزال اللهجات العربية في حالة مستمرة من التطور<sup>17</sup>، وهي تشمل العديد من المصطلحات الحديثة من لغات أخرى، وعادة ما يتم تعريفها جغرافياً؛ فالعالم العربي يمكن أن يقسم عموماً إلى أربع مناطق رئيسية من حيث تقارب اللهجات:

أولاً: المغاربية، أو الدارجة: وهي مستعملة في المغرب وتونس والجزائر وليبيا ومناثرة بالأمازيغية والفرنسية والإسبانية.

ثانياً: المصرية: وهي موجودة في مصر وشمال السودان.

ثالثاً: لهجة الشام والعراق في منطقة المشرق العربي: وهي شائعة في العراق وسوريا ولبنان وإسرائيل وفلسطين وتركيا.

رابعاً: العربية الخليجية، هي شائعة أساساً في المملكة العربية السعودية واليمن والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وقطر والبحرين والكويت.

### تطور اللغة العربية والقضايا الإقليمية والسياسية

تميّز العقد الأخير في العالم العربي بالاضطرابات السياسية والثقافية حيث تضاعفت الاهتمامات للحصول على إجابات فورية تخص أسئلة ثقافية ودينية معقّدة في منطقة الشرق الأوسط. وفي خضم هذا المسعى اشتمت وتضاعفت مسألة شرعية بعض اللهجات عوض أخرى واتخذت مساراً تقوده عوامل لا تمت للغة في شيء.

ونتيجة لذلك لا تزال قضية اللغة العربية الفصحى ولهجاتها مسيئة؛ فالمناقشة ليست في إطار لغوي بل تستند بالأحرى على الانتماءات الدينية، والاتجاهات السياسية أو على السيادة الاقتصادية أو مدى الأهمية والاهتمام ببعض المناطق الإستراتيجية؛ فعلى المرء أن يكون حذراً عند استخدام كلمات من مثل "أفضل"، "أول" و"أعظم" في المناقشات حول اللهجات العربية.

فالتصريحات مثل "العربية اليمنية أو الدارجة الجزائرية صعبة المفهم" أو "المصرية العربية هي أقرب لهجة إلى العربية" أو "الدارجة المغربية أقرب إلى الفرنسية من اللغة العربية"...كل هذه ليست مسلمة مغلوطة

فحسب، ولكن لا تحتكم إلى معايير لغوية بل إنها تهدف إلى التفرقة أساساً، وينبغي أن نتبنى كل اللهجات وننظر إليها كدلائل تُثري وتطور اللغة العربية.

إنّ تطور اللغة العربية ولهجاتها تحدّ للمدرسين والمتعلمين من أبناء اللغة وغير الناطقين بها على حدّ سواء؛ فبالنسبة إلى المتعلمين يتعين عليهم دراسة كل مستويات اللغة- اللهجات والفصحى بطرق ناجعة لتحقيق الطلاقة والدقة اللغويتين مع الأخذ بعين الاعتبار أن اللغة العربية الفصحى هي الأساس الذي يساعد في فهم اللهجات باختلافها .

<sup>14</sup> Amazigh is the proper term for the word “Berber”. The Amazigh people converted to Islam and adopted Arabic but also kept their own language. The majority are found today in Morocco, Algeria, and to a lesser degree in Tunisia and Libya.

<sup>15</sup> Maghrebi Arabic.

<sup>17</sup> Note that these varieties all share the same roots and, at times, patterns with classical Arabic; the variation is in pronunciation of certain letters, word position and borrowed words.

<sup>16</sup> المغربية

<sup>17</sup> ملاحظة أن هذه اللهجات تستعمل نفس الجذور كاللغة العربية الفصحى؛ هناك طبعاً اختلافات في نطق بعض الحروف، و بنية الجمل، وكذا الكلمات المستعارة

To conclude, the evolution of Arabic from the *Lughat Quraish* into modern Arabic has not reached its peak. In fact, it seems the more the language evolves, the more concern there is for the rest of the world and the challenges the various levels of Arabic language present to both native and non-native speakers.

Globalism is another driving force of radical linguistic change. In Europe, there is a recurring call for a change in grammatical rules to suit the needs of 21st-century European educational methods. Even though the Arabic language has adopted new concepts and methods through the centuries, it is reasonable to look at more modern ways to present the language. If we have learned anything about the Arabic language from this brief survey, it is that it is highly adaptable.

Arabic has indeed adjusted to 21st-century globalisation and technological progress. The spoken varieties are growing and changing constantly; the fast pace of economic and technological change is having a great impact on the spoken varieties more than Standard Arabic. Handwritten letters were once viewed as a more polished means of communication, but now even email is becoming passé among the Internet generation. Blogging has almost superseded the newspaper column; texting and tweeting are more the order of the day.

Yet there are always questions as to the adaptability of Arabic, with the interest in the language and its history fuelled by heated debates about Islam and cultural assimilation in Europe. The Arab Diaspora's revived interest in the history of the language and Arab culture is needed, now more than ever, to keep this discourse within a linguistically honest and accurate framework. Indeed, the interest in Arabic in Europe as well as in the United States – motives notwithstanding – is yet another opportunity for the language and culture to evolve and open up the debate about the real issues. It is the responsibility of Arab and non-Arab scholars alike to stay faithful to the mission of academia and serve history, just as Averroes and the ancient poets did. **AG**

**Younasse Tarbouni** is a lecturer in Arabic, in the department of Asian and Near Eastern Languages and Literatures; In Washington University in St. Louis. Some of his research interest includes dialectology and history of languages, African Diaspora between cultural conflicts, survival and integration in Europe and migration and Islam as a political variable in Europe. Younasse is currently working on the interplay of language education (Arabic), religion and politics in Europe (France).

awareness of the complexities the dialects present in comparison to the standard. The versatility and the openness of North Africa comes across as a unique outcome, given its geographical location, of that cross-cultural awareness – immune, in most cases, to what has been called “language ego”.<sup>18</sup> The region, historically, has known many invasions, most of which left linguistic as well as cultural components that the natives embraced as theirs.

Depending on the interlocutor, it is very common to hear a Maghaarebi – a speaker from the Maghreb region – respond in Egyptian, Shaami, Khaliji or Lebanese. Another factor contributing to this liberal linguistic view – history of the region notwithstanding – is the Arabic movie and music industry, which find a welcoming market and consumer in the North African region, something that is perhaps not reciprocated in the Middle East.

Choosing to use the language or dialect of the other is not necessarily a denial of one's own; rather it is a sign of linguistic prowess that goes beyond defending one's dialect or language. As Brown (1987) puts it, “it is an open-minded attitude toward cross-cultural differences. A closed-minded view of such differences often results in stereotype – an oversimplification and blanket assumption.”<sup>19</sup>

Finding a balance between respect for the roots of the language and acceptance of the derivatives lends legitimacy to both and strengthens the language as whole. Defending one's dialect against another only creates – or deepens – rifts that bring more controversy to the language. The great Palestinian American literary theorist Edward Said made this point clear when he noted that Arabic has become a controversial language and all things related to it have fallen into contentiousness



Cetty Images/SuperStock RM



Cetty Images/DeaGostini

▲ 13th century, Biblioteca (Library)

▲▲ Arabic Bible: The Last Supper, woodcut print.

من المستحيل تماماً أن يفهم شخص كويتي اللهجة المصرية إذا ما سمعها من قبل؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، لكن هناك طرق عديدة تمكن من فهم أيّ لهجة عربية ولو نسبياً؛ فمشاهدة الأفلام والأغاني والمسرحيات... غالباً ما تؤدي إلى مستوى لائق لفهم لهجة ما، ولكن العنصر الرئيس في هذه العملية هو الرغبة والاستعداد لقبول لغة الآخر أو لهجته.

ويجدر القول إنّ هذه الرغبة تقل في المنطقة الشرقية أكثر مما هو الأمر في الجزء الغربي من العالم العربي؛ فمثلاً، في المنطقة المغاربية، يمكن للمرء الحديث عن تقبل وليونة تجاه الثقافات واللهجات العربية الأخرى فافتتاح شمال أفريقيا يأتي كنتيجة فريدة من نوعها نظراً لموقعه الجغرافي، والنظرة الثقافية الشمولية التي لا تطغى عليها "الأنا اللغوية"<sup>18</sup>، وقد عرفت المنطقة، تاريخياً، العديد من الغزوات التي تركت بصماتها اللغوية فضلاً عن المكونات الثقافية التي احتضنها السكان الأصليون.

ومن الشائع جداً أن تجد مغاربياً- من منطقة المغرب العربي – يرد على المصري، الشامي، الخليجي أو اللبناني بما هو أقرب للهجات هؤلاء بدلاً من الرد بالدارجة، وبالإضافة إلى تاريخ المنطقة، ثمة عامل آخر يساهم في إغناء هذه النظرة الليبرالية في التواصل وذلك أن صناعة الموسيقى والأفلام الشرقية تجد في منطقة شمال أفريقيا قبولاً وسوقاً كبيرين، وهو أمر قد لا يكون متبادلاً في منطقة الشرق الأوسط.

اختيار استخدام لغة أو لهجة الآخر ليس ناتجاً بالضرورة عن حرمان أو عجز لغوي أو نكران للغة الأم، بل هو دليل على المهارة اللغوية العالية التي تتجاوز فكرة الدفاع عن اللهجة أو اللغة الأم. يشير براون (1987) إلى هذه الفكرة مؤكداً أن هذا "موقف منفتح تجاه الاختلافات بين الثقافات، ووجهة النظر الأحادية نحو الاختلافات غالباً ما تؤدي إلى الصور النمطية والفرضيات الساذجة"<sup>19</sup>.

لا شك أن إيجاد توازن بين احترام جذور اللغة وقبول الاشتقاقات يقوي ويضفي شرعية على اللغة ككل، وأن الدفاع عن لهجة دون أخرى يخلق بل يعمق الخلافات التي تجلب جدلاً أكثر للغة، وقد أشار المنظر والاديب الأمريكي الفلسطيني الأصل ادوارد سعيد إلى أن اللغة العربية أصبحت لغة مثيرة للجدل وجميع الأمور المتعلقة بها صارت تسقط في المجادلة.

وختاماً، فإن تطور اللغة العربية من لغة قريش إلى اللغة العربية الحديثة لم يصل ذروته بعد؛ إذ يبدو في الواقع، أنه كلما تطورت اللغة أكثر زاد الفلق في بقية العالم، وزادت التحديات الناتجة عن الاختلافات في مستويات اللغة العربية الحالية عند الناطقين بها كلغة أم أو كلغة أجنبية.

تعتبر العولمة القوة الدافعة الأخرى للتغيير اللغوي الجذري؛ ففي أوروبا، هناك دعوة متكررة وملحة لإجراء تغييرات أو تعديلات على القواعد النحوية لتناسب الاحتياجات التربوية في الأساليب التعليمية الأوروبية للقرن الحادي والعشرين. على الرغم من أن اللغة العربية فتحت أبوابها لمفاهيم وأساليب جديدة عبر القرون، فمن المعقول أن ننظر إلى سبل أكثر حداثة لتلقي هذه اللغة، فإذا كنا قد تعلمنا شيئاً عن اللغة العربية من خلال هذه الدراسة الموجزة، فذلك لأنها لغة مرنة طيّعة.

بالفعل، فقد تماثت العربية مع العولمة والتقدم التكنولوجي، والدليل هو النمو والتغير اللغوي المستمر الظاهر في استعمالاتها المختلفة؛ فسرعة التغيير في الاقتصاد والتكنولوجيا كان لها أثر كبير في اللغة العربية الفصحى؛ إذ انقرضت الرسائل الخطية بين أوساط جيل الإنترنت، وعوضت بالبريد الإلكتروني؛ "البلوجينج" أو المدونات التي حلت محل المقالات الصحفية؛ و"التويتتر" و"الرسائل النصية" أو "تكستين" أصبحت أكثر استعمالاً اليوم.

ومع ذلك، هناك تساؤلات دائمة حول قدرة العربية على التكيف مع العصر، وهذه التساؤلات ناتجة عن الاهتمام باللغة وتاريخها في إطار مناقشات ساخنة حول الإسلام والاندمج الثقافي في أوروبا، والآن وأكثر من أي وقت مضى، هناك حاجة ماسة إلى اهتمام "الدياسبورا" والجاليات العربية في العالم، وخاصة أوروبا، بانعاش تاريخ الثقافة العربية واللغة، والحفاظ على هذا الحوار في إطار لغوي صادق ودقيق، والواقع أن الاهتمام باللغة العربية في أوروبا وكذلك في الولايات المتحدة - على الرغم من كل الدوافع - فرصة أخرى للغة والثقافة للتطور وفتح باب النقاش حول القضايا الوجودية القائمة، وتقع هذه المسؤولية على عاتق العلماء العرب وغير العرب للبقاء أوفياء للمهمة الأكاديمية وخدمة التاريخ على غرار ما قدمه ابن رشد والشعراء القدماء.

نبذة عن الكاتب

يونس ترويني: باحث و محاضر في اللغة والثقافة العربية، في قسم اللغات والأداب في آسيا والشرق الأدنى؛ في جامعة واشنطن في سانت لويس. تشمل اهتماماته البحث في: علم اللهجات وتاريخ اللغات المهاجرين والصراعات الثقافية في أوروبا؛ الإسلام والسياسة في أوروبا... يبحث حالياً في قضية التفاعل بين تعلم اللغة العربية والدين والسياسة في أوروبا (فرنسا).

18 Brown, H.D (1987). *Principles of Language Learning and Teaching*. Ed.2. Prentice Hall Regents, Inc., pp. 50, 113-125.

19 See Brown, H.D (1987)

براون، ه.دي. (1987). *مبادئ اللغة والتعلم والتدريس*. ص. 50، 113-125.

19 انظر براون، ه.دي. (1987)